مُخيلةُ أعمى

الكاتب : بهاء عيسى حايك

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

رواية : مُخيلةُ أعمى

الكاتب : بهاء عيسى حايك

أهدي كلماتي و عباراتي هذه لمنٍ أوحى إليّ بتلك الأفكار ، و نصحني الله بأن أكتب لكم تجربة مريرةً ، وجميلةً من تجارب الحياة مر بها أحد الأشخاص ،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كما أهدي قلوباً من الاحترام و التّقدير ، لمن ربّاني و سهر اللّيالي على راحتي أقبّل الأيادي إرضاءً لكم فأنتم على الرّؤوس تاج عزٍّ و فخرٍ.

في زمننا الغدار هذا ، بقينا نحن الأنقياء و حدنا نمشي في الظّلام

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

القويّ اليوم يأكل الضّعيف ، و يحاول إذلاله ..لماذا؟

كي يشعر بالمتعة ، القوّة ، والهيمنة

ستسألني عن ضمائرهم .... لماذا لا تمنعهم من الأذى و الاستغلال؟

الضمير يا عزيزي كما يُقال عنه تماماً.....لا يمنعك من فعل شيء خاطئ ، بل يمنعك من الاستمتاع بما تفعله ، و لكن هم حتّى ضمائرهم ، و وجدانهم أموات نتعامل مع أرواحٍ مليئةٍ بالمكر و الغدر

نعيش في فترةٍ من الخداع و الضّلال ، و كأن الشّياطين تصب غضبها على من بقي على عهد ربّه ، و سلّم روحه لبارئه مقاوماً وساوس الأبالسة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل الأول : الحادث

كعادتنا نحن الأشباح ، ندخل إلى حياة بعض الأشخاص ، فنعرف ما بداخلها ، و ندوّن قصصهم في كتبنا ، فنقصّها عليكم لأخذ العبرة منها.

دخلت صدفة إلى منزلٍ فقير قديم في إحدى القرى.

إنّها السّاعة الواحدة بعد منتصف اللّيل ، أنظر إلى تلك الزّاوية ، تراه حزيناً ، يائساً في غرفته الكئيبة ذات النور الخافت ، و الجدران المهترئة ، مُستلقياً على سريره القديم ، يفكر في الماضي ، يتذكر ذلك الحادث ، ذلك اليوم كان من أسوأ أيام حياته ، بل هو كابوس حدث على أرض الواقع ، حينها فقد إيهاب بصره إثر حادثٍ أليم . يُمسك عصاه فيُعاتب حظه :

-لماذا أنا؟...لماذا حياتي كالجحيم؟...حظّي تعيس ، لم أرَ يوماً سعيداً طيلة حياتي ، أرى ههه "يضحك بحرقة و قهر" ، و هل أنا أرى؟.

تدمع عينه ، و يكمل ذكرياته الأليمة ، كلّما تذكر موقفاً

يزداد بكاؤه ، لندخل إلى مخيّلته ، و ذكرياته قليلاً ، و نرى ما الّذي يُبكيه.

نحن الآن في الماضي...في مخيّلة إيهاب ، لقد عدنا في الزّمن أكثر من عشرين عاماً في بستان صغير ، متواضع ، شجرتا ليمون تعانق بعضهما البعض و كأنهما تتغازلان ، يجلس في ظلّهما ثلاثة أطفال يلهون ، و العديد من شجر الزيتون ، و فلاح أسمر طويل القامة ، و عينين سوداوين ، و قطرات العرق تداعب وجهه ، يحرث الأرض بكفيه العريضين نده له أحد الأطفال بصوته الطّفولي البريء :

-ألن تستريح يا أبي؟ أنت تعمل منذ مدّة ، تعال و اجلس معنا.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ابتسم الرجل ، و هز رأسه مشيراً للموافقة.

استلقى والد إيهاب على الأرض ، مفترشاً تراب بستانه ، أمسك بحفنة من التراب يصفن فيها ، و بلهجة من اقترب أجله قال لأولاده :

- يا أولاد.... لقد ولدت في هذه الأرض ، و سأموت و أُدفن فيها ، أوصيكم يا أبنائي أن تدفنوا جسدي هنا في هذا البستان ، إنّ روحي معلّقة هنا في هذه الأرض ، فادفنوني بها.

سكتوا جميعاً و نظروا إلى بعضهم باستغراب ، و كأنّهم لم يفهموا ما الّذي قاله أبوهم.

نظرت حولي لقد حلّ الظّلام فجأة ، و تغيّر بنا المكان ، إنه عالم المخيّلات ، يا له من عالمٍ غريبٍ ، هل عدنا إلى منزل إيهاب؟ ، يبدو لي أن الجميع هنا نائم ، لحظة... ما هذا؟ هنالك ضوءٌ خفيفٌ في تلك الغرفة إنّه...

إنّه والد إيهاب ، ذلك الرّجل العظيم المكافح ، لقد أحببته رغم أنّني لم أره قبلاً إلّا عندما كان في بستانه صباحاً ، و لم أتكلّم معه قط

إنه يفكّر بصوتٍ عالٍ :

- إنّها آخر أيّام حياتي ، لن أعيش طويلاً ، فقد استفحل المرض في جسدي هذا ، إنّني ميتٌ لا محالة.

"تلك هي الحياة تخطف أغلى لحظاتها منّا غدراً ، كلّنا سنموت ، لن يبقى منّا شيء سوى الذّكر الطّيّب ، و أعمالنا الصّالحة...

لنا لقاءٌ في الجنّة ، سنجد كلّ من أحببناهم ، و سنتعاتق جميعاً بحبّ."

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بعد يومين استيقظت تلك القرية البسيطة على خبرٍ صاعق ، والد إيهابٍ قد مات ، لقد توفي ذلك الفلاح اللطيف.

انظر هناك...ها هو إيهاب ، إنّه يجهش بالبكاء.

تهتزّ الدّنيا بجنون و كأنّه زلزالٌ عظيم ، ما الّذي يحدث؟...حينها شعرت بالدوار و غبت عن الوعي.

استيقظت لأجد نفسي قد خرجت من مخيّلة ذلك الشّاب ، كان غارقاً في دموعه ، لقد بكى كثيراً إلى أن فقد وعيه ، و استسلم للنّوم.

لقد قرّرت...سأبقى بجانب إيهاب ، إنّه شابٌّ مسكين ، سأكتب قصة هذا الشّاب ستكون رائعة.

لقد حلّ الصباح...

صباحٌ جميل في هذا البيت الريفي القديم ، إنه يُشعرني بالدفئ ، و الألفة بنوافذه الخشبية العتيقة ، و كراسي القش ، هذا المنزل تحفة فنية متكاملة

و أخيرا استيقظ صديقنا ، صباحُ الخير يا إيهاب ، أتمنّى لك يوماً طيّباً.

أمسك إيهاب بعصاه المهترئ و ذهب ليغسل وجهه ، ألقى الصباح على أمّه العجوز ، و أخته ، ذهبت أخته لكي تساعده على المشي ، لكنّ كبرياء الرّجل بداخله لم يسمح بذلك ، قال لها بغضب :

- اذهبي ، لا أريد مساعدةً من أحد ، أقدر على المشي وحدي.

"إن كنت ضعيفاً ، فاصنع لنفسك كبرياءً يجعلك أقوى الأقوياء".

و أكمل طريقه ، وصل إلى مقصده ، بدأ يغسل وجهه الوسيم ، و هو يقول في سرّه متأسفاً :

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

-آسف...لم أقصد أن أجرحك ، و لكنّني لا أتحمّل أن يعاملني أحد على أنّني عاجز ، سيأتي يومٌ و أبصر أنا واثق ، أثق أنّه يوجد علاج يجعل منّي مُبصِراً.

"الأمل سرّ الحياة ، يجب أن يبقى الأمل حيّاً في داخل كل شخصٍ منّا ، لولا الأمل لم نكن قادرين على الحلم ، علينا بالوصول في أحلامنا عالياً لترتفع فوق الغيوم".

طُرِق الباب ، فتحت أخت إيهاب الباب ، و إذ به شاب وسيم بشوش الوجه لطيف الملامح خفيف الشعر ، إنه جميل صديق إيهاب و رفيق دربه ، و بيت أسراره ، بلهجةٍ خجولةٍ يقول :

-صباح الخير...هل؟ هل إيهاب هنا؟

"ظهرت وردات الخجل على وجه هدى"

-صباح الخير...نعم نعم إنّه هنا ، تفضّل بالدّخول.

"قد يستطيع اللّسان و الكلام إخفاء الحبّ ، و لكن العيون لا تستطيع أبداً ، فلغة العيون لا تنطقها شفاهٌ أبداً ، بل ينطقها القلب وحده".

قاطع إيهاب نظرات الهيام :

-أهلا وسهلاً...جئت في وقتك ، كنت أريد التّحدّث إليك.

-خيراً

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

-ليس هنا...ما رأيك أن نذهب إلى مكانٍ آخر ، أريد أن أتمشّى قليلاً.

إنهما الآن يمشيان بهدوء بين البساتين ، على يمينهما نبع ماء صوت خريره يغذي طبلة الأذن ، بجانبه صخرة ، يتحسس إيهاب بعصاه عن مكانها ، ثم يجلس عليها.

بدأ جميل في الحديث :

-ما بالك يا إيهاب؟...أشعر أنك متضايق من شيءٍ ما ، هلّا قلت لي ما يضايقك؟.

-كما تعلم يا جميل ، أنا لا أحبّ أن أكون عالةً على أحد ، و لا أتمنّى أن أكون شخصاً بلا فائدة ، أريد منك أن تبحث لي عن عمل أشعر من خلاله أنّني ذو فائدة.

-أعلم ذلك ولكن أ..

-دعني أُكمل أرجوك ، أعلم أنّني ضرير ، و لكن ليس هنالك أيّة مشكلة ، يوجد حلولٌ كثيرة ، من يبحث يلقى.

يفكر جميل قليلاً.....يركز في صوت المياه في النبع ، ثم يبتسم ابتسامة كأنها تقول "وجدتها"

-حسناً....سأبحث لك ، أعدك ، و لكن أريد أن أرى تلك البسمة على وجهك أولاً.

ابتسم إيهاب.

-شكراً يا جميل.....حقّاً الصّديق وقت الضّيق.

"أنت يا صديقي هو السّيف الّذي سأضرب فيه ، و أقاتل ، أنت هو ذاك الدّرع الّذي يحميني من الغدر ، و الأذى ، و أنت بصري بصيرتي ، وجودك بجواري في أقسى حالاتي هي نعمة الله الوحيدة عليّ ، أنت الأمان في هذا العالم الموحش ، أنت من يفهمني دون كلام".

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ستغرب الشمس عن قريب و يحل الظلام ، أوصل جميلٌ إيهاباً إلى المنزل ، ثمّ ذهب إلى منزله القريب.

دخل إيهاب إلى منزله ، فدخل إلى غرفته المتواضعة ، جلس على سريره و أسند عصاه على الجدار المليء بالشقوق بجانب سريره ، و أمسك بالعود الخاصّ به ، فبدأ بالعزف و الغناء ، ما أجمل هذا الصوت!

لقد أطربت أذناي حقّاً.

بينما إيهاب يعزف ، و يدندن عوده ببراعة ، حتى استسلم للنوم.

عمت مساءً أيّها الطّيب ، نوماً هنيئاً يا صديقي الّذي لا يعرفني.

مرّت عدة أيام ، جاء جميلٌ إلى منزل إيهاب ، فتحت أخت إيهاب الباب تلوّنت خدودها.

-أهلاً جميل ، تفضّل في الدّخول إيهاب في الدّاخل.

دخل جميل إلى إيهاب و قال :

-بشراك يا إيهاب ، لقد بحثت لك عن عمل ، لكن أوّلاً أريد أن تغنّي لي أغنية.

غنّى إيهاب ، و لكنّه متوتّر قليلاً ، قاطع جميل تلك الأغنية

-هذا رائع ، تستطيع البدء غداً إن أردت ، أحد معارفي لديه مقهىً صغير يبحث عن شاب صوته عذب ، و عزفه أعذب ، ما رأيك أنت؟...

وافق إيهابٌ على كلام جميل ، و اتّفقا أن يذهبا إلى ذلك المقهى صباح اليوم التالي.

جلس إيهاب على كرسيه الهزاز و احتضن عوده كعاشق مشتاق رأى محبوبته بعد سنين من الغياب ، بدأ بالتّفكير ، إني أسمع أفكاره التي تقول :

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

-و أخيراً ، سأشعر أنّني ذو فائدة ، و أخيراً سأعتمد على نفسي بعد سنتين من فقداني البصر.

بدأ يتذكّر يوم فقدانه للبصر ، سأدخل إلى مخيلته محاولاً أن أعرف ما هو السّبب.

دخلت إلى مخيّلة إيهاب ، ما هذا؟...أنا في الشارع هل هو طريق سفر؟...السّيارات جميعها مسرعة ، لحظة...أين إيهاب؟ أنا لا أراه.

التفتّ لأجد سيّارة متوقّفة على يمين الطّريق ، وجدت على مرآة السّيارة انعكاس إيهاب ، إنّه يقلّد حركاتي ، أدركت عندها أنّني قد دخلت إلى مخيّلة إيهاب و هذا ما أريد فعله ، و لكن دخلت إلى جسد إيهاب ، إذاً كيف أصبح إيهاب أعمى؟

انطلق جسد إيهاب من تلقاءِ نفسه نحو الجهة الأخرى من الطريق..... و سيارة سوداء تأتي من جهة اليسار مسرعة ، و شاء القدر أن تضربه تلك السيّارة لتطرحه أرضاً ، ينازع و يستنجد ، إنه غير قادرٍ على الحراك ، تلك السّيارة تهرب ، توقّف يا هذا ، إلى أين تهرب.

لقد هرب بفعلته ، يا له من خسيس ، خرجت من جسد إيهاب و رأيت شخصاً يقترب منه ليسعفه ، ذهبت لمساعدته و لكنّني لا أستطيع ؛ فأنا شبح و هو بشري ، وضعه في سيّارته و انطلق به إلى المشفى.

في غرفة بيضاء ذات أرضية لامعة تفوح في المكان رائحة المعقمات ، و سرير حديدي ينام عليه إيهاب و أجهزة الفحص الطبي بجانبه و صبية جميلة تلبس لباساً أخضر اللون فوق رأسه تقوم برعايته إنها الممرضة المسؤولة عن العناية به ، إيهابٌ لم يستيقظ بعد....لقد جاء الطبيب و بيده نتائج الفحص ليطمأنّ عنه ، سأل الطبيب الممرضة :

-ألم يستيقظ بعد؟

أشارت له الممرضة بالنفي قائلة :

-لا ليس بعد ، و لكن حالته في تحسّن.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قاطع الرجل المُسعِف كلام الممرّضة ووجّه كلامه للطّبيب :

-متى سوف يستيقظ؟...و ماذا عن نتيجة الفحص الّذي أجريتموه؟

أجابه الطّبيب :

-بحسب الفحص إنّ هذا الشاب سيعيش ، و لكن...

-لكن ماذا؟

هزّ الطّبيب رأسه متألماً.

-هذا الشّاب لن يستطيع الرؤية بعد اليوم ، فقد كانت الصّدمة قويّة جدّاً ، و ضربت منطقة العصب البصريّ في دماغه مما أدى إلى فقدانه حاسة الرؤية.

بينما يتكلّم الطّبيب ، استيقظ إيهاب إنه يتكلّم :

-أين أنا؟...و ما الّذي حدث؟...أنا لا أرى شيئاً ، هل من أحدٍ هنا؟...أأنا حيٌّ أم ميت؟

فجأة....و كأنّ الضوء قد انطفأ ، يبدو أن إيهاباً قد استيقظ من ذكرياته الآن و خلد لنومٍ عميق ، و لكن كان غارقاً بدموعه.

في صباح اليوم التّالي ، و في مقهى صغير ذو طراز ريفي دافئ ، حيث الكراسي و الطاولات البسيطة ، و موقد نار في منتصف المقهى تتوزع حوله الطاولات.

-أهلاً .... أهلاً بجميل و صديقه إيهاب أهلاً تفضلا بالجلوس قال صاحب المقهى

-أهلا بك...متى يمكنني البدء بالعمل؟.

قالها إيهاب و هو يرفع يمينه الذي يمسك بالعود.

-أمستعجل للعمل لهذه الدرجة؟....اجلس الآن لا تقلق يمكنك العمل متى شئت ، و بالأجر الذي تريده ، أنت صديق جميل.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ثم أشار إلى جميل و أكمل :

-و صديقك هذا لا نرد له طلباً.

تبسّم إيهاب...

بدأ إيهاب بعمله ، أمسك بعوده و بدأ بالعزف و الغناء ، فسحر الجميع بعذوبة صوته.

قال إيهابٌ في سرّه :

-لو كان أبي حيّاً الآن...هل كان سيفخر بي؟...هل سيعجبه صوتي و عزفي؟...بالطّبع سيفعل ، أبي سيفخر بي دائماً أنا متأكّد.

مضت الأيام على هذه الحالة.....

الفصل الثاني : عادل

في يومٍ حارٍ و عدد قليل من الزبائن في المقهى ، أحدهم كان جالساً على طاولته ، و معه فتاةٌ جميلة ، و فجأة...

دخل إيهاب إلى المقهى ، جلس على طاولته الخاصّة يشغل "سيجارة" قبل البدء بعمله ، تفاجأ ذلك الشّاب بوجود إيهاب هنا على الطاولة التي على يمينه تماما ، سأل نفسه :

-ما الّذي يفعله إيهاب هنا؟ و ما الّذي أصابه؟ يبدو لي أنّه فقد بصره

ابتسم بخبث.....

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بالطّبع هكذا هي عقوبة من يقف في وجهي ، لن أنسى ذلك اليوم...

قاطعته الفتاة الجميلة بقولها :

-عادل...ما الّذي يحدث؟ هل أنت معي؟ أم أنّ ذهنك في مكانٍ آخر؟.

-أنا معك يا عزيزتي أسمعك....

من عادل هذا؟ يبدو أنه يكره إيهاب .... و لماذا يكره إيهاب؟ أم إيهاب كان مخطئاً بحق هذا الشاب؟..... عجبت لأمره ، إنّه يشمت بإيهاب بما حدث له ، ما الذي قد حدث بينهما يا ترى؟

-كم تريدين الآن؟...هل يكفيك ما أعطيتك من نقود؟.

-لا أبداً ، أنت أعطيتني النّصف فقد ، هذا لا يكفيني لقضاء ليلةٍ كاملةٍ معي.

الآن بدأت أفهم هذا الشّاب إنّه ديوث و إمعة ، و تلك الفتاة ما هي إلّا فتاة ليلٍ و عاهرة.

ذهب عادل و عاهرته إلى إيهاب ، فقال عادل :

-إيهاب...أهذا أنت؟ ما الّذي حدث؟ أخبرني...

-من؟ من أنت؟ هل أنا أعرفك؟

-طبعاً تعرفني ، أنا عادل ، صديقك أيّام الجامعة ، ألا تتذكّرني؟

رد إيهاب بقرف :

-بالطّبع ، عرفتك...

بدأ إيهاب بالعزف، و لكن قاطعه عادل مرّة أخرى :

أعرّفك على صديقتي كارلا ...كارلا هذا صديقي إيهاب منذ أيام الجامعة.

لكن إيهاب لم يكترث بل و تجاهله ، ذهب عادل مع كارلا ، و هو يفيض غيظاً من تصرّف إيهاب معه حتى أنه قد أغلق الباب الزجاجي للمقهى بعنف ، حتى

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كاد أن يكسره من غيظه ، أقسم أنّني وددت خنقك يا عادل ، و لكنّني لا أستطيع ، أتمنّى لو كنت بشريّاً لكنت قتلتك.

قالت كارلا و هي تفتح باب سيارة بيضاء فخمة :

-لماذا تصرّف معك بهذه الطّريقة؟ أليس صديقك؟

-بلى...صديقي.

أشغل السيارة ، و ابتسم عادل ابتسامةً شيطانيةً :

بل و أعز أصدقائي أيضاً.

ها قد انتهى يومٌ عملٍ آخر....العاملون في المقهى ينظفونها قبل العودة لديارهم ، و إيهاب شارد الذهن يفكر بما حدث معه هذا اليوم فأدركه صاحب المقهى :

-إيهاب!..إيهاب

-م...ماذا؟

-ألن تعود إلى بيتك؟....لقد تعبت اليوم كثيراً.

-حسناً

-ما بالك اليوم؟...هل هناك ما يزعجك؟...لا تبدو على ما يرام

صفن إيهاب قليلاً:

-لا...أنا بخير سأعود للبيت ، نلتقي غداً

في الساعة التاسعة و النصف ليلاً ، و في طريق ترابي تصطف الأشجار البرية على جانبيه....كان إيهاب في طريقة لمنزله ، كان مشوشاً ، شارد الذهن ،منزعجاً من لقائه مع ذاك الشاب المدعو "عادل" ، عندما وصل للبيت دخل إلى غرفته فوراً دون أن يأكل ما يسد به جوعه فهو منذ الصباح لم يأكل شيئاً و كأن غرفته بحيطانها المهترئة و صورة لأبيه فوق سريره و خزانته الصغيرة فيها سحراً ينشط ذكرياته و يريح أعصابه ، استلقى على سريره كالعادة ، ما لبث أن ظهرت فوق رأسه شاشة كشاشة التلفاز ، سأتابع ما سيظهر من

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ذكرياته ، أنا الآن في بهو الجامعة الناس حولي كثيرون أراهم و لا يروننني ، أسمعهم ولا يسمعوننني ، هذا يجلس منتظراً أحدهم يتأفف :

-لقد تأخر كثيراً.

و تلك الحسناء تخرج مرآةً من حقيبة يد سوداء كانت معها ، و ترى إن كان مظهرها لائقاً أم لا ، و شابان أحدها بنظارات طبية و الآخر يحمل كتاباً يناقشان بعضهما بدروسهما يجلس إيهاب على مقعد على يمينهما و معه شخص آخر يتمازحان ، و يتبادلان أطراف الحديث ، لكن...أليس هذا الشخص هو عادل؟ هل كانوا أصدقاء؟ هكذا يبدو لي ، حتى أن إيهاباً قد أخرج من علبة سجائره سيجارتين و أعطى واحدة منهما لعادل ، كأنهما ينتظران شخصاً ما ، أكاد لا أصدّق ما الّذي أراه ، إيهاب و عادل يضحكان سويّاً ، إذا لماذا تخاصما إن كانت صداقتهما قويةً إلى هذا الحد؟ هل السبب هو المال؟ ، اقتربت منهما فتاة جميلة ، حسناء ، كالقمر حين يكتمل ، بلباس أبيض و شعر حريريّ أسود ، و قالت :

-صباح الخير ، آسفة على التّأخير ، كانت الطّرقات مزدحمة اليوم.

قال إيهاب :

-أهلاً سلام ، كيف حالك؟ نحن أيضاً تأخرنا.

سلام اسم على مسمّى ، إنّها آية في الجمال ، و كأن السلام خُلِقَ لها.

قال عادل بامتعاض :

-هيا لنذهب ستبدأ المحاضرة بينما نحن نثرثر.

أنا لا أفهم شيئاً ، إيهاب و عادل أصدقاء ، و لكن عادل يتصرف بغرابة ، فقد كان طبيعيّاً ، و تغيّرت ملامحة و طريقة كلامه فجأة حين جاءت سلام.

دخل الثلاثة إلى المحاضرة من باب خشبي كبير ، مرصع بالزخرفة الفسيفسائية رائعة المظهر ، تغير الزمن فجأةً إلى وقت انتهاء المحاضرة ، يخرج الطلاب

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

من الباب ، و بعضهم يرتب أغراضه ، و البعض يسأل المدرّس أسئلة ، خرج الثلاثة من الباب تنهد عادل و كأن حملاً قد زاح عن صدره :

-أووه ، و أخيراً انتهينا اليوم ، إيهاب أنا مستعجلٌ جداً أراك في يومٍ آخر.

رفع يده إيهاب لعادل فأمسكت سلام بها :

-هناك شيء ما بخصوص عادل.

-ما باله عادل؟.

قالت سلام و علامات التردد قد ظهرت على وجهها الحسن :

-أتريد الصّراحة؟ شيءٌ ما بداخلي يخبرني أنّ عادلاً هذا شخص سيء ، و بصراحةٍ أكثر أنا لا أرتاح له أبداً ، دائماً هناك شيءٌ يقلقني تجاه هذا الشّخص ، ألم تلاحظ طريقة تصرفاته معي.

-لا...بصراحة لم ألاحظ ذلك ، و لكن عادل شابٌ طيّب القلب.

-أنت من قلبه طيّب يا إيهاب ، أنا لا أقول لك أن تبتعد عنه ، و لكن احذر لنفسك منه ، فقلبي لا يطمئن له أبداً.

يطول الكلام بين إيهاب و سلام ، و يبدأ قلب إيهاب بالخفقان و هي تتكلم و هو ينظر إلى عينيها ، يقول في سره :

-يا لوجهها الملائكي و عينيها السوداوين الناعستين و ذاك الكحل الخفيف الذي يزينهما ، أما خداها الورديين و كأنّ وردةً جوريّةً قد أزهرت فوقهما ، و إسلوبها اللبق في الكلام ، تباً لك يا إيهاب لقد وقعت في الحب.

ثم فجأةً .....

تُظلِم الدنيا للحظة ثم تنقلنا ذاكرة إيهاب إلى موقف آخر ....

إنها فترة الظهيرة و الجو ربيعي الفصل ناعم الهواء ، و إيهاب جالسٌ في أحد المتنزهات على مقعد خشبي بسيط ينتظر أحداً ما ، يلبس قميصاً كحلي اللون تتخلله نقاط بيضاء كما النجوم في سماء الليل بأزرار صغيرة سوداء دائرية

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الشكل و جيب صغير عند الصدر ، و بنطالٌ كحليّ اللون أيضاً ، كانت تفوح من إيهاب ريحٌ طيب كأن فصل الربيع قد أزهر من جسده ، يحمل بيده اليمنى وردةً حمراء يشمها تارةً ، و تارةً ينظر إليها ، و تارةً أخرى ينقِّل نظره بين الناس المتواجدون في المتنزه ، فذلك الرجل يسقي الورود ، و آخر صعد سلُّماً يقلم الأشجار ، و أطفالٌ يشترون المسليات من رجل يمشي بعربة زرقاء صغيرة فيها جهاز "راديو" يسليه و ينسيه قليلاً من تعبه ، و صوت شجار يعلو على اليسار ينظر إليه إيهاب ليرى امرأتين حمقاوتين إحداهما ثلاثينية و الأخرى أربعينية إن لم يخب ظني ، كانتا تتشاجران لأن كل واحدة منهما كانت تنزه كلبها الأليف ، التقى الكلبان و تشاجرا فتشاجرتا ، ابتسم إيهاب ابتسامة سخرية و أسف بنفس الوقت.....

يرن هاتفه.....

_آلو..أهلاً سلام.....حسناً...حسناً المهم أنك بخير ، لا عليك.

مرضت سلام لم تقدر على المجيء.....

صفن إيهاب يخاطب نفسه ، أفكار و أفكار تحوم في عقله.

_ترى هل هي تكذب؟.....أم تريد أن تتهرب بطريقة مهذبة؟

_ لا أدري....لا أريد أن أظلمها ، لربما هي مريضة حقاً.

لا تحمّل الأمور أكثر مما ينبغي يا إيهاب ، ستدخل يوماً في دوائر من الحيرة لن تر منها مخرجاً ، و قد تودي بك إلى الجنون أو الانتحار.

"هل أنت ساحرة؟...

هل أنت مشعوذة؟...

و كأنّك ألقيت تعاويذاً ، و طلاسماً على قلبي ، حتى سقط هاوياً هائماً هكذا ، و كأنّك طعنتيه برمحٍ ، أو أنّ قلبي اتّخذ منك إلهاً بعد سنينٍ طويلةٍ من الإلحاد"

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كان إيهاب جالساً في مدرج جامعته مشتاقاً ، و زملائه من أمامه يتحادثون ، و بجواره العديد من رفاقه إلا أنه كان وحيداً في حضرة غيابها ، يرفع يده اليمنى فينظر إلى الساعة السوداء التي في معصمه ، ثم ينفخ بحرقة الانتظار راجياً أن يمضي هذا الوقت بسرعة.

و بينما يشتعل قلب إيهاب بنيران الشّوق لسلام ، أتى إليه عادل بنظرته الاستفزازية و طقم رسمي فاخر بني اللون متناسق مع بعضه البعض ، و قال له بطريقته المقيتة :

-أين هي؟ هل تخلّت عن صداقتك؟ كنت أعلم أنّها ستتخلّى عن صحبتنا يوماً ما..."يضحك بسخرية ، ثمّ يكمل حديثه"...كم مرّةً قلت لك؟ إنّها فتاة تحبّ مصلحتها الشّخصيّة فقط.

رمقه إيهاب بنظرةٍ عابسة و أمسك به من رقبته ، و ينظر الكل لهما باستغراب

-ألن تتخلّى عن طباعك هذا؟ حسنة سأخبرك ، سلاماً كانت مريضة ، و لا تستطيع الحضور ، لهذا السّبب هي ليست هنا ، و ليس لأنّها تناست صحبتنا ، عليك أن تخجل من نفسك ، أتعتبر نفسك صديقاً؟.

-أفلت يدك يا إيهاب ، الكل ينظر لنا ، لا أريد قتالك....

أفلته إيهاب

-صه ، لا أريد سماع أيّ شيء ، إن كنت تريد التّحدث فاذهب و تحدّث بمكانٍ آخر.

ضمّ عادل أصابع قبضته بغضبٍ و رتب ثوبه المجعد ، ثم ذهب و هو يتمتم بعض الكلمات الغير مفهومة.

يتغير المشهد مرّةً أخرى ، الجو الآن بديع ، إيهاب يجلس على أحد المقاعد في حديقة ما مُنتظِراً سلام بلهفة إنه المقعد الذي كان ينتظرها عليه ذلك اليوم ، أغمض عينيه الجريئتين و بدأ بأحلام اليقظة ، إنّه يحلم أن سلاماً ترتدي فستاناً

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أبيض اللون راقي المظهر ، و طرحة بيضاء تغطي وجهها الحسن ، ترقص مع شخصٍ وسيم يرتدي طقماً رسميّاً ، كان ذلك الشخص هو إيهاب نفسه ، إنه يحلم بيوم زفافه على سلام و لكن.....

-إيهاب.....إيهاب ، أأنت نائم؟

و لكن ها قد جاءت سلام و استيقظ إيهاب من مخيلته ، إنّها تقترب ، مع كلّ خطوة تقرع طبول في قلب إيهاب

قالت سلام :

- كيف حالك؟

قال بارتباك :

-بخير...بخير ، و أنت كيف حالك؟

-حمداً لله ، ما رأيك بأن نتمشّى قليلاً؟.

وافق إيهاب ، و أخذهما الحديث طويلاً تحت ظل أشجار الحديقة الذي تخترقه برقة خيوط نسجتها الشمس ، كانت الفرحة مرسومة على وجه إيهاب بل كاد يرقص فرحاً ، كان يتمنى أن يطول حديثهما إلى اللانهاية.

عندما أكون بقربك أتمنّى أن يتوقف الزمن ، و تُشَلّ حركة عقارب الساعة ، أتنفس من طيب عطرك ، و أُطرِب أذناي من لحنٍ عذبٍ هو صوتك ، أكحّل عيناي بجمال عينيك.

ذهبت إلى المقهى فوجدت إيهاب جالساً كعادته يعزف و يغنّي و بجانبه جميل صاحب الخُلق الجميل ، هذا الشاب إنّه رائع كم أحبّه ، أحسّ إيهاب أن جميل ليس على ما يرام ، فتوقف عن العزف.

- ما بالك يا جميل؟

بقي جميل صامتاً و لم يجب على سؤال إيهاب.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عاد إيهاب إلى منزله بعد إنهاء العمل ، رفقة صديقه جميل ، بينما كانا يثرثران على طريق العودة ، بين مزاحٍ و ضحكٍ ، و ذكريات الأيّام الخوالي ، و ذكريات هذا الطريق الضيق و مشاغبات الطفولة على أطرافه و أشجار السرو المنتشرة على طول الطريق ، لاحظ إيهاب ذلك التّوتر الواضح من صوت جميل ، فسأله عن السّبب مرة أخرة.

-جميل...ماذا هناك؟ هل حدث معك شيءٌ ما؟ صوتك لا يريحني اليوم.

-لا عليك يا إيهاب ، مجرّد بحّة في الصّوت لا أكثر ، لا تقلق.

طبعاً لم يصدقه إيهاب و لكنّه أدرك أنّ جميل غير قادرٍ على الكلام بهذا الشأن.

-صحيح...تذكرت ، كدت أنسى ، أتعرف من يتردّد إلى المقهى بشكلٍ شبه يوميّ؟

-لا من؟

-إنّه عادل ، ذلك الّذي كان يرافقني أيّام الجامعة ، أتذكره؟

قال جميل بقرف شديد :

-نعم نعم عرفته ذلك الّذي...؟ و لم أصبح يتردّد للمقهى؟.

لعلمي أنّه يكره المقاهي المتواضعة كهذه ، و يحب الفاخرة جدّاً

أجابه إيهاب بضحكة خفيفة :

-هه...نعم هو بعينه ، وجدني مرّة هنا و منذ ذلك اليوم أصبح يتردّد بشكل دائم ، يريد أن يتقرّب منّي ، و أن نعود أصحاباً كما كنّا ، و لكن هيهات لن أرافق ذلك الخسيس مجدّداً ، حتّى أنني أعتبره غير موجود لست آبهاً له ، أتذكّر تماماً ذلك اليوم و كأنّه البارحة.

وصل إيهاب إلى منزله و معه جميل ، ففتحت هدى أخت إيهاب الباب الخشبي القديم ، لهما نظر لها جميل فتلألأت عيناه و رقص قلبه ، أمّا هدى فقد نظرت للأرض بخجلٍ شديد و ابتسامة أشدّ خجلاً و قالت بصوت ناعم :

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

-أهلا تفضلا بالدّخول.

كم هو جميلٌ ذلك الشّعور و كأنّكِ فتحتِ على قلبي أبواب السّعادة ، شعورٌ أشبه بدخول الجنّة ، و كأنّ الله أرسلكِ لي كي يكافئني ، فقد أسميتك أميرتي ، و سلّمتك عرش قلبي ، و أعطيتك شراييني تاجاً.

دخل إيهاب و ورائه جميل ، ألقى جميل السّلام على والدة إيهاب ، تلك المرأة العجوز بشعرها الأبيض الذي يعطيها مظهر الحكمة ، و عكازها على طرف الكنبة التي تجلس عليها

-مساء الخير يا خالتي ، كيف حالك ؟...

-أهلاً جميل تفضل اجلس يا ولدي.

جلس جميل ، و زاد التّوتّر أكثر من ذي قبل ، و وضحت ملامح وجهه المتردّد في الظّهور ، و لكنّه قرّر عدم التكلّم بما يدور في رأسه.

فظللت أراقبه حتى استأذن بالرّحيل حتى أنني لم أركز بالحديث الذي دار بينهم ، سألحق به و أدخل إلى أفكاره ، إنّ فضولي يمزّقني.

خرج جميل و طفت بالهواء مرافقاً إيّاه ، كان يمشي و ينظر إلى الأرض ، و بحصة كانت في طريقة فركلها ، ثم ظهرت فوق رأسه سحابة تعرض لي أفكاره ، فدخلت إليها.

كان الظلام حالكاً لدرجة أنني وضعت يدي أمام عيني فلم أرها ، مهلاً...أسمع صوت شخصٍ يتكلّم بصوتٍ ضعيف غير مفهوم ، نظرت حولي فوجدت ضوءاً ضعيف و كأنّه يعطي ظلاماً أكثر من إعطائه النّور ، ذهبت باتجاه ذلك الضوء ، و كلّما اقتربت أكثر من ذلك الضّوء ، كلّما أصبح صوت الكلام أوضح و أقوى ، اقتربت أكثر و لكن ما رأيته كان مفاجئاً بحقّ.....

لقد رأيت جميلاً يجلس بحزن و حيرة شديدين ، مُشعلاً إلى جانبه شمعة قديمة تكاد تنتهي و تنطفئ ، و يمسك بيده سيجارةً يشعلها من الشمعة الضعيفة ، دنوت منه أكثر فسمعته يقول :

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

-إلى متى سوف أنتظر؟...إلى متى سأظل خافياً الحقيقة عن إيهاب؟...هل سأبقى جباناً طيلة حياتي؟.....لا أريد أن أتخفّى وراء إصبعي ، أريد أن أواجهه بالحقيقة ، و لكن لا أريد أيضاً أن أخسر صديقي.... لا هو سيتفهّم موقفي ، على الأقلّ سيفهم أنّني لا أريد الغدر به ، و لكن ماذا سأقول له؟

و كيف أقولها؟.....أأقول له أنّي أحبّ أخته؟ أم....

سأخبرك ماذا ستفعل يا صديقي جميل ، سأخبرك...

ذهبت معه إلى منزله ، كان منزله قريباً من منزل إيهاب ، جلس على سريره و وضع يديه على الفراش ، ثم مسح على رأسه بيده اليسرى و نظر إلى صورة أبيه التي كانت فوق باب غرفته

-علمتني أن أكون شجاعاً.....و لكنني لست كذلك ، علمتني أن أكون صادقاً مع صديقي و ها أنا أخفي عنه الحقيقة.

ثم بدأ النعاس يحاربه حتى يغفى فقمت بالدخول إلى منامه ، و بدأتُ بالكلام :

-اسمعني...أنا صوت قلبك ، ركّز فيما سأقوله لك يا صديقي ، و اجعله حلقاً في أذنك ، إن كنت تحبّها حقّاً فاذهب و أخبرها ، و إن كنت خجولاً من ذلك لا عليك ، عيونك تفضحك دائماً ، دعها تشعر بحبّك.....و أخبر صديقك بحبّك لها لعلّه يتفهّم ذلك ، فهو يعلم نيّتك الصّافية ، و التّقرّب منهم ، لا تكن كطائرٍ خجول ، يخجل من أغصان الأشجار أن يسكن بينها ، بل كن جريئاً بلطف و اطلب ذلك ، فربّما أوراق الأشجار تشفع لك عند غصونها.

استيقظ جميل بفزع مد يده جانب سريره و أخرج جرة صغيرة من الفخار فشرب منها ، و لكن رجفان يده قد بلل "كنزته" و وجهه

و هو كذلك سأخبر إيهاباً ، في النّهاية أنا لا أريد خسارة صديقي ، سأخبره ، نعم نعم سأخبره ، إيهاب سيتفهّم الأمر ، و لن يكون هناك أيّ عائق.

عزم جميل على أن يُخبر إيهاباً بذلك ، و يطلب القرب منه و أهله ، لكنّه مازال متردّداً ، متردّداً على أن يجد طريقةً يخبره فيها.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

في مقهى شعبيّ صغير متواضع ، كان الشّاب إيهاب يعزف كعادته ، يطرب أذن كلّ من يدخل ذلك المقهى ، بصوت يجذب قلوب العشّاق إليه ، فيأتون للجلوس مع من يحبّون في وسط تلك الأجواء "الرّومانسيّة" اللّطيفة ، كان كلّ شخصٍ منهم يحادث محبوبته ، صدر صوت رقيق قد خرّ قلب إيهاب صريعاً بعد سماعه ، دمعت عيناه شوقاً لأنّ ذلك الصّوت قد حرّك الماضي ، و صدر هذا الصّوت مراراً و تكراراً ، هبّت منه نسمة جميلة فنعشت قلب إيهاب و قتلته فور إنعاشها له ، كان هذا الصّوت الرّقيق العذب لفتاة أرقّ و أعذب من صوتها ، فتاةٌ أقلّ ما يقال عنها أنّها القمر في جمالها ، كانت تلك الفتاة هي سلام كانت جالسة مع شابٍ بهي المنظر ، مهيب الإطلالة ، وسيم الوجه ، شابٌّ يدعى مراد ، لم يستطع إيهابٌ أن يضبط دموعة كثيراً فقد بدأت النّيران تلتهم صدره ، فترك العود و ريشته على الطاولة ، و تحسس عصاه حتى أدركها ، و مشى نحو الباب ، أتاه صوت من خلفه :

-إلى أين ذاهب يا إيهاب؟

-سأذهب إلى البيت ، أنا مضطر لذلك.

-حسناً المهم أن تكون مرتاحاً ، و إن كنت متعباً أوصلك

-لا أريد أن أتمشى قليلاً.

-كما تريد.

يبدو أنّني سأعود للماضي بعد قليل.

جلس إيهاب في غرفته ، و الحزن قد اجتاح قلبه ، أشعل سيجارة و همّ بالذّكريات و الدّموع ، بدأت ذكرياته بالظّهور فدخلت فور ظهورها.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل الثالث : الخسيس

في الجامعة التي يدرس فيها إيهاب و كان الجوّ يُمطِر غيثاً ، إيهاب يقف مع سلام ينتظران أن يتوقّف المطر حتّى يذهب كلّ منهما إلى منزله ، يتحادثان متابعين منظر المطر من خلف النّوافذ ، فجأة جاء عادل أو صاحب الوجهين كما أحبّ تسميته ، يقترب بخباثة مشيته ، قائلاً بتملّق واضح على إيهاب :

-أصدقائي و المطر سويّاً يا له من جوّ رائع مع الأصحاب.

رحّبت سلام به.

-أهلاً عادل...تعال و قف معنا ، لم نرك منذ مدّة.

نظر عادل نظرة الخبيث إلى إيهاب و يقول بكلام لاسع كالأفعى :

-كيف حالك يا إيهاب؟ ألا تردّ السّلام كما فعلت سلام؟

ردّ عليه إيهاب و رمقه بنظرةٍ عابسةٍ.

-أنا في أحسن حال ، كم أنا مشتاق للجلوس معكما.

بقي إيهاب صامتاً و عيناه تتأمّل المطر ، بينما كان قلبه يتأمّل فتاةً اخترقت جدرانه ، و كان مُغمِضاً عينيه يعيش لحظاتٍ جوهريةٍ ، كان يتخيل نفسه معها يتمشيان سويّاً في الحديقة تحت قطرات الغيث ، يختبئان من المطر تحت شجرة كبيرة ، فيقرأ لها ما كتبه فيها من شعر و نثر و تتورد خدودها خجلاً ، و لكنه عاد إلى الواقع عندما طرق عادل على زجاج النافذة :

-إيهاب...أين ذهبت؟ هل....هل أنت عاشق يا إيهاب؟

يضحك بسخرية ثم يكمل :

- تعالوا و انظروا ، صديقنا إيهاب...إنه عاشق.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

نظر إيهاب إلى سلام ثم نظر إلى عادل و أكمل إجابته الصامتة.

نظرت إلى سلام ، كان و قد بدا على وجهها أنّها أحسّت بشيء غريب ، شيء غير منطقيّ نهائياً ، كانت تسأل نفسها عمّا يجري ، -لماذا إيهاب يتصرّف بهذه الطّريقة مع عادل؟

توقف المطر فخرج كلّ من إيهاب و سلام يصحبهما عادل يريد كلّ منهم أن يذهب إلى منزله ، قبل أن ينزل المطر مرة أخرى.

خطرت فكرةٌ في ذهن عادل ، فكرة لا تخطر على بال شياطين الكون ، نظر ناحية إيهاب و ابتسم بخبثٍ شديد ، ثمّ نظر ناحية سلام فازدادت ابتسامته.

قال عادل يناقش ذاته :

-إن وافق إيهاب كسبت ودّه مجدّداً و أفعلها لاحقاً ، و إن رفض سأفعلها اليوم.

-ما رأيكما يا صديقاي...

التفتت إليه سلام و أكمل قوله :

-اصعدا معي سيّارتي أوصلكما ، قد يعود المطر في أيّ لحظة.

تردّدت سلام ، و لكنّ إيهاباً رفض ، لم يحثّه عادل كما فعل مع سلام التي أصرّ عليها أن تصعد ، بطريقته الخبيثة استطاع أن يقنعها بأن تذهب معه في سيّارته ، و بنظرة من عينه تشعر أنّ فيها شيطاناً من كبار الأبالسة نظر إلى إيهاب و مال نحوه يهمس في أذنه كلاماً لا أسمعه ، فاقتربت منه و إذ بي أسمع عادلاً يقول :

-لم أصرّ عليك ، فيكفيني أنّها ستذهب معي ، سيكون كلّ شيء كما أردته أن يكون ، أخبرتك مراراً و تكراراً ، سآخذ منها ما أريد ، و بعدها سأشبع شهوتي التي لا تشبع منها.

نظر إيهاب نظرة المصدوم ، و قد ربط لسانه ، بقي محاولاً أن ينطق ليحذّر سلام :

-سـ...سلام....سلام انتظري.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لكن سلاماً لم تسمعه.

ركض ناحيتهما ، و لكنّهما كانا مُنطَلِقَين ، على فوره أوقف سيارة أجرة ، و لحق بهما ، توقفت سيارة عادل على باب أحد الأبنية الضّخمة في الأماكن الرّاقية ، نزل عادل من سيارته الفارهة و معه سلام التي كانت ملامح الذّعر مرسومة على وجهها ، و دخلا إلى البناء الضّخم ، نزل إيهاب من سيارة الأجرة و دخل المبنى هَرِعاً مصدوماً ، مُتسائِلاً لكن كيف سلّمت سلام نفسها له؟ و كيف استطاع إقناعها؟

بدأ الأفكار تتداخل ببعضها البعض في رأس إيهاب بينما هو لاحق بهما بخفّة ، كي لا يشعر به عادل ، في الدّور الرّابع أو الخامس ، سمع إيهاب صوت باب يُغلَق ، و قد سمع عادلاً يقول :

-أسرعي إلى الدّاخل...إنّها هناك.

أنا لا أفهم ما الذي يحدث ، إنّها هناك؟ ما الذي يعنيه بقوله هذا؟.

مررت من الباب بجسدي الشّبحي كما أمرّ من الهواء قاصداً أن أفهم ، رأيت سلام تبحث عن شيءٍ ما أو شخصٍ ما في هذا المنزل الفخم لكنها لم تجده ، كانت تقف في وسط غرفة الضيوف حائرةً أمامها كرسي فقط ، نظرت إلى يمينها كانت مجموعة من الكنبات غالية الثمن جميلة المظهر مصفوفة على ثلاث حيطان و بالمنتصف كانت طاولة زجاجية فاخرة عليها مزهرية ورود و شمعتان حمراوتان و مسدس ، التفتت إلى اليسار فشاشة "تلفزيون" كبيرة معلقة على الحائط و بجانبها مكتبة حائط خشبية تحوي مجموعة من الكتب في رفوفها العلوية ، و مشروبات كحولية في الرف السفلي ، ثم التفتت إلى الوراء فكان عادل و نظرت في عينيه ، فوجدت النّظرة الشّيطانيّة نفسها التي رآها إيهاب في عينيه ،قالت له بذعر و خوف شديدين :

-أي...أين هي أمّك؟

و بضحكة خسيس :

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

-أمّ من؟ و كأنّك صدّقت ، لا أحد هنا غير أنا و أنت ، أنت الآن مُلكي يا سلام ، أنت الآن مُلكي.

و اقترب منها بخطىً بطيئة ، و هو يخلع سترته السوداء المطريّة اللّعينة ، كانت هي تهرب نحو الوراء لكنّها تعثّرت بالكرسي سقطت جالسةً عليه ، و سقط قلبها بسقوطها ، شريط حياتها و عزّتها يمرّ أمام عينيها الآن ، شعرت باليأس قد أظلم حياتها ، قبل أن يعود بريق الأمل إلى نفسها عندما سمعت صوت طرق الباب ، و إيهاب يناده :

-عادل...أين أنت يا عادل.

أمسك عادل بالمسدس الذي كان على الطاولة و صوّب نحو سلام ، ثم أشار لها بإصبعه على أن تسكت ، و أمسك بيد سلام و أدخلها إلى إحدى الغرف و رماها على الأرض ، أخرج حبلاً من خزانته البنية و ربط يديها و قدميها ، ثم وضع شريطاً لاصقاً على فمها و أقفل باب الغرفة بحذرٍ شديد ، و وضع مسدسه في حزام بنطاله ، ثم ذهب ناحية الباب ، و نظر من العين السّاحرة للباب ، فوجد إيهاب الذي كان في قمّة غضبه و ذعره ، فتح له الباب بوجهه الخبيث المُبتسم مغمضاً عينيه قليلاً مُتظاهِراً بالنعاس :

-أهلاً إيهاب ، قد زا...

دخل إيهاب إلى البيت ، يبحث عن سلام :

-أين هي يا عادل؟ أين خبّأتها؟

بحث في كلّ أرجاء البيت إلّا غرفة واحدة ، خرقت الباب المقفول و دخلت فوجدتها نائمة غارقة في دموعها ، و كان قد أغمي عليها من شدّة الخوف.

همّ إيهاب للدّخول إلى تلك الغرفة لكنّ بابها كان مقفولاً ، نظر إيهاب إلى عادل مُخاطِباً إيّاه :

-افتح بابك اللّعين هذا و إلّا....

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قاطعه عادل بفتحه للباب بكلّ برودة أعصاب ، وجدها مطروحة على الأرض ، و كأنّ روحها قد خرجت ، ذهب ناحيتها و ركع على ركبتيه باكياً ، يربّت بحنّيةٍ على وجهها لعلّها تعود للحياة ، كان يظنّها ميتة بحق :

-أقتلتها؟ لماذا؟ ما الذي فعلته لك؟

صمت إيهاب بعد أن شعر و كأنّ شيئاً ما يلامس مؤخرة رأسه ، شيءٌ أشبه بآلة شيطانية الصّنع ، و كان عادل يضحك :

-يا له من يومٍ مذهل ، أستطيع إذلالك الآن ، و الوصول لسلام و جسدها هذا ، كم تمنّيت الوصول لجسدها ، تلك العاهرة ، لم تكن لتسمح لي أن آخذ منها ما أريد ، فاضطررت لهذا ، حمقاء الآن بعد أن أقضي حاجتي بك ستخسرين حياتك ، و سيخسر هذا المعتوه حياته أيضاً ، لن أقتلك الآن يا إيهاب ، فسأجعلك ترى شرف من تحب كيف يُسلَب أمامك و يصبح كبرياء سلام تحت النعال ، و في الطّين خلال لحظات.

ليتني أستطيع المساعدة ، و لكنّني لا أقدر ، سامحني... سامحني أرجوك.

نظر إيهاب إلى عادل مصدوماً ، غاضباً ، إنّه شعور غريب ، بل هو شعور مميت هو ذلك الشّعور الذي تشعر به عندما يغدرك صديقك.

قالتها سلام من قبل أنّ قلبها لا يطمأنّ لعادل ، و لكن كيف أقنعها بأن تركب سيّارته؟ ، و كيف أقنعها بأن تدخل منزله؟

يكمل عادل كلامه بينما كان إيهاب يشتعل غضباً ، و يرتجف خوفاً في ذات الوقت ، يفكّر في ما سيحدث ، هل هي النّهاية؟ فلتكن نهاية حياتي أنا و سلام ، و لكن لا تسلبها شرفها ، و تهتك عرضها استدار عادل إلى الخزانة حتى يجلب حبلاً ليقيّد فيه إيهاباً لم يجد حبلاً فخرج من الغرفة ، في هذا الوقت استفاقت سلام ، و الصّداع قد أكل رأسها.

نظرت إلى إيهاب فوجدته ينظر لها بعيونٍ من حزن و أسى ثمّ

تذكرت و أخذت تحاول الصراخ لكنها لا تقدر حتى أشار لها إيهاب بالسّكوت ، اقترب منها حتى همس في أذنها بصوت أكاد أن أسمعه :

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

-قاوميه قدر استطاعتك ، لن يقدر أن يمسّ شعرة منك ما دمت أتنفّس ، أنا هنا لأخرجك من هذا ، و لكن بحذر.

فكّر إيهاب أن يقتل سلام لكي ينقذها من ذلك المجرم ، لينقذ عرضها من الضّياع ، انتزع رباط حذائه ، تقدّم ناحيتها لينهي ذلك الجحيم الذي تعيشه لكنّه سمع صوت أقدام ذلك الشّيطان تقترب ، فاختبأ خلف الباب و عندما دخل انقضّ عليه و لفّ رباط الحذاء على عنقه فأوقع السّلاح من يد عادل ، مُشيراً على سلام أن تهرب لكنها لا تستطيع فهمي مقيدة ، فانهال على عادل بالضّرب ، كان كلّ منهما شديداً قويّاً ، من الصّعب أن نحدّد من الذي سيعيش بينهما ، كان مشهداً كالذي نراه في أفلام "الأكشن" دام القتال طويلاً و فجأة...سقط إيهاب على الأرض بعد أن ضربه عادل ، أمسك عادل مسدّسه بيمينه و صوّب على رأس إيهاب.....

كانت سلام تأنُّ طالبة النجدة و دموعها تحرق خديها ، و تورّمت عيناها و احمرّ بياضهما من شدة البكاء ، ترفع وجهها نحو الأعلى ، و تغمض عينيها راجيةً الخلاص ، ثم تفتحهما و تتنقل بنظرها في الغرفة تنظر إلى الخزانة البنية الفخمة بجانب الحائط تتفحصها ، على يمينها عصاً مسنودةٌ عليها التفت لتنظر

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إلى السرير خلفها كان على يمينه خزنة صغيرة بثلاثة رفوف.....قد توقف صوت كلٌّ من عادل و إيهاب فجأة و سمعت صوت ضحكة عادل.....

_أتظنّ أنك قد تقدر عليّ ، أنت ضعيف يا إيهاب لست ندّاً لي....

ازداد بكاؤها و أحسّت بالذنب لأنها أقحمت إيهاب بما لا علاقة له به ، نظرت إلى الطرف الآخر فلاحظت مقصّاً على طاولة المرآة التي في غرفة عادل ، ثم نظرت إلى يديها و قدميها.....حاولت أن تزحف لكن قد خارت قواها ، لم تعد قادرة على ذلك ، لم تعد قادرة سوى على البكاء...البكاء فقط.....

-أتعبت نفسك يا إيهاب ، و أتعبتني....ها أنت قد جئت إلى الموت بقدميك ، دعني آخذ منها ما أريد ، تلك البنت تشتهيها حتى الملائكة.

يكمل عادل كلامه :

- لم تقل لي يا إيهاب.....أين تريدني أن أدفن جثتك القذرة؟.....في المقبرة؟.....لا ذلك كثير عليك.....أم أرميها في البحر؟.....أو سأقول لك ما أفعله....

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يُخفِض عادل صوته باستفزاز واضعاً يده اليسرى على وجهه و يحك ذقنه :

-سأرميها في القمامة و أحرق تلك الجثة العفنة.....فذلك مكانك الطبيعي.

كان إيهاب صامتاً ينظر بعيني عادل بخوف و تحدي ، كان يتخيّل كيف ستفجّر الرصاصة رأسه ، كان مرعوباً و لكن لا يريد أن يُظهِر ذلك لعادل ، كان مشوش المشاعر حينها ، لكنّه في النهاية ابتسم لمصيره.....بعد أن وقع عادل على الأرض إثر ضربة على رأسه ، و وقع مسدّسه منه على الأرض ، و سال القليل من دمائه على البلاط ، نظر عادل إلى من ضربه فكانت سلام ممزّقة الثياب ، و تقطر يديها و قدميها دماً ، مُمسِكة بعصاً ، رفعت العصا و ضربته مرة ، و مرتين ، و ثلاث ، و عشر ، حتى أكلت العصا من جلد عادل و لحمه و دمه ، فكسرت ساقه اليسرى.

نهض إيهاب و مسح الدماء عن فمه و أنفه بكمه اليمين ، و راح إلى المسدس فانحنى و التقطه ، ثم مسكه بيديه الاثنتين ، كانت يداه ترجفان تعباً و ذعراً ، فهذه أول مرة يمسك فيها سلاحاً

ثم صوبه باتجاه عادل

- صلِّ لعلك تكفر عن ذنوبك قبل أن أقتلك يا عادل.

ينظر عادل بخوف باتجاه فوهة المسدس ، ينتظر اللحظة التي ستخرج منها الرصاصة فتخترق رأسه ، بدأ بالتخيل بكيفيه موته ، يتخيل الموقف ببطئ شديد ، تخرج النار من الفوهة خلف رصاصةٍ....يصحبها دويٌّ صاخب كالهزيم يقتله رعباً قبل أن تدخل الرصاصة في مُنتصَف جبهته ، بين حاجبيه و تخرج من قحف رأسه ، و تبدأ نافورة من الدم تدور حول دماغه.....

مازالت سلام مُمسِكة العصا بيديها كمن يمسك السيف بحذر ، و مازالت تنظر إلى عادل نظرة الحاقد المُنتصِر ، و تلتقط أنفاسها بعد يومٍ مُرعِبٍ.....سمعت ما قاله إيهاب ، فأفلتت العصا لتلفت انتباهه ، استيقظ عادل من مُخيلتِه على صوت ارتطام العصا بالأرض فصرخ بأعلى صوته وجعاً و بدأ يتحسّس رأسه

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بيديه و هو يلهث فقد ظنّ أن ما دار في مخيلته حقيقياً ، قالت سلام لإيهاب و لم تكن لتزيل نظرها عن عادل :

-اتركه يا إيهاب.....لا تكن مثله ، إن كان يجب على أحد قتله فهو أنا ، و لكن اتركه ستعاقبه الأيام ، ثم يمكننا أن نأخذ حقنا بالقانون.

-و....ولكن يستحق القتل.

-أعلم أنه يستحق ذلك....و لكن إن قتلناه سنكون أسوأ منه. هيا أنزل يديك و دعنا نذهب.

صفن إيهاب قليلاً ، ثم أنزل يديه :

-حسناً يا عادل.....لن أقتلك هذه المرّة لأنّني لم أنس أنّك كنت في أحد الأيّام صديقاً لي ، ثمّ أنّني أريدك أن تذوق طعم العذاب ، لربّما يغيّرك نحو الأفضل.

أشغل سيجارة النصر و أكمل حديثه :

-لقد فكّرت في أن أقتل سلاماً قبل أن تؤذيها ، لكنّني أيقنت أنّني لن ألحق ، سمعت أصوات أقدامك فاختبأت وراء الباب ، في الحقيقة أنت غبي ، لا يمكن لإنسانٍ يملك ذرّةً من الدماغ أن يتركني في الغرفة غير مقيّد.

ثمّ أدار له ظهره و ذهب يحمل معه انتصاراً و آثاراً من معركةٍ نبيلةٍ كانت ضد شخصٍ مختلٍّ عقليّاً ، بقيت أنا بمكاني بعد أن ارتاح قلبي ، لا أعرف ما الذي أبقاني ، ربّما شماتةً في عادل أو ربّما الصّدمة ، رأيت ذلك الوغد الجبان يقاوم نفسه و يهرب زاحفاً مُتحمِّلاً آلام الكسر من بيته و كانت الدّماء تغطّي معظم جسده و تطلخ ثيابه الباهظة تلك ، ألست رجلاً يا عادل؟ أين شجاعتك الآن؟ بقيت جامدا كالصّنم ، أتأمّل مكاناً كان سيُقتَل به إيهاب و سلام ، و تختفي جثّتهما بطريقةٍ ما ، بعد مضيّ ما يقارب السّاعة ، كانت ساعةً صامتةً مليئة بالسّكون ، قبل أن يقتل ذلك السّكون دخول مجموعة من الرّجال يلبسون زيّاً موحّداً حاملين أسلحة ، و أحدهم يبدو لي أنه قائدهم و يبدو عليه أهيبهم من منظره ، دخلوا إلى البيت بإسلوب الاقتحام كما نراه جميعاً في "التلفزيون"

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

نظرت ناحية الباب فوجدت سلام تنظر بخوف و ترقّب بجانبها إيهاب ، نادى عليهما ذلك الرجل المهيوب و كلّمهما بصوتٍ أشبه للتّوبيخ أو التّنبيه :

-أتركتما الباب مفتوحاً؟....الآن قد هرب انظرا كيف كان يزحف و يجرّ الدم خلفه ، الآن صعبتم المهمة علينا.

قاطع كلامه صوت شخص من أولئك الرّجال يقول :

سيدي انظر هناك...مسدّس.

حمله بملقط و وضعه في كيسٍ شفاف.

شخصٌ آخر يبدو أنّه وجد شيئاً :

و هنا أيضاً حبالٌ مُقطَّعة على الأرض في هذه الغرفة.

خافت سلام بعد أن عرفت بهروب عادل ، فقد يعود للانتقام في أي لحظة :

-كانت غلطتي ، أنا حمقاء لماذا منعت إيهاباً من قتله؟ .....بل لماذا وافقت على أن يوصلني سافل كعادل؟...لم أكن أطيقه طيلة حياتي ، لا أعرف ما الذي جرى بالضّبط ، كيف استطاع إقناعي بأنّ أمّه مريضة؟ ماذا سأفعل الآن ؟ قد يعود في أي وقت ، الحيرة تأكلني ، ما الذي يجب عليّ فعله؟ ساعدني يا إلهي ، ساعدني.

فجأةً بدأت الدّنيا بالاهتزاز ، و كأنّ زلزالاً يضرب ، لكن لا أحد يشعر به ، يبدو أنّ إيهاباً اكتفى من ذكرياته الآن ، أغمضت عيناي للحظات فوجدت نفسي في ذلك البيت المتواضع ، و تلك الغرفة الصّغيرة الحنونة و المليئة بالأحزان إنّها تشعرني بالدّفء البارد ، وجدت إيهاباً يجلس على كرسي و يضمّد جروحه ، كان مُتشتّت الذّهن :

-كيف وافقت سلام للدخول لمنزله؟ هل مزاجها بخير الآن ؟ .....سامحك الله يا سلام ، سامحك الله.

فجأةً نادته هدى أخته :

-إيهاب...تعال سلام تريدك.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قَدِم إيهاب و قد لمعت عيناه بلطف و حزمٍ معاً ، و كأنّ فيهما الكثير من الحنان و العتاب ، وقف على الباب وجد هدى تحادث سلاماً و تعزمها للدخول و الجلوس معهم ، قال إيهاب لهدى :

-اتركينا وحدنا قليلاً.

ثمّ نظر إلى عينيّ سلام ، و قبل أن ينطق حرفاً واحداً قاطعته سلام :

-أعلم ما ستقول ، و لكن...

-لكن ماذا؟

-سأحكي لك منذ أن ركبت سيّارته الحقيرة تلك ، جائه هاتف و نحن في طريقنا إلى منزلي ، بعد أن أغلقه أخبرني أنّ أمّه متعبةٌ جدّاً و أن أذهب لبيته أراها ممّا تشكو ، فذهبت معه.

بصوت غاضبٍ خافت :

-و لكن كم مرة قلت أنت أنّ قلبك لا يطمأنّ له؟ أخبريني.

-آسفة ، لم أكن أعرف كيف صدّقته لم أكن أظنّه شيطاناً لهذا الحد من الخبث و المكر.

بدأ النّور يتلاشى تدريجيّاً ، لقد خلد إيهاب للنّوم أخيراً

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل الرابع : الفرح

و سأخلد أنا أيضاً للنوم لقد تعبت كثيراً.

مرت عدّة أيّام ، يومٍ كان فيه المقهى مُقفلاً بسبب أعمال الصّيانة فلم يذهب إيهاب إلى عمله ، جاء جميلٌ إلى إيهاب طالباً الحديث معه في موضوع غاية في الأهميّة ، قال له إيهاب :

-تفضّل بالدخول إذاً.

قال جميل و العرق يتصبب منه خجلاً ، و ملامحه و لهجته المرتبكتان تفضحانه :

-لا لا ، ما رأيك أن نتمشى قليلاً ، فنتكلّم.

-حسناً ، انتظرني دقيقةً فقط.

ترى ما الذي يريده جميل؟ بدأت الأفكار تراودني.

لحقت بهما فكان طريقهما في شارع و على الرصيف يجلسان وضع إيهاب عصاه في حضنه يسنده على فخذيه ، أشغل سيجارته ، ثم وضع يده على كتف

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

جميل ، و دار بينهما حديث قصير ، و لكنه كان كافٍ ليُظهِر على وجه جميل ملامح الخجل و الارتياح و الندم و السعادة في آنٍ واحد.....

لم أستطع سماع ما يدور بينهما....اقتربت أكثر.....فسمعت جميلاً يقول :

-يا إيهاب...أنت صديق طفولتي و رفيق دربي ، و لم أعتد أن أخفي شيئاً عنك ، و خصوصاً في موضوعٍ كهذا.

-إلى الآن لم أفهم....تكلم بوضوح.....كلّي آذانٌ صاغية يا جميل ، قل لي ما الأمر؟

-أنت تعرفني جيّداً ، و تعرف أخلاقي و كلّ شيءٍ يدور حولي ، في الحقيقة...

"بلع جميل ريقه" و أكمل كلامه :

-في الحقيقة يا إيهاب ، جئت أكلّمك لأنّني أريد دخول البيوت من أبوابها ، إنّي و يشرّفني يا صديقي أن تكون أختك شريكةً لحياتي ، و رفيقة دربي.

ابتسم إيهاب و أنزل يده عن كتف صديقه إلى ظهره كأنه يضمّه.....

-في الحقيقية يا جميل ، لا أعرف ما الذي أقوله لك ، يجب أن أسأل هدى أولاً ، و لكن إن كنت تريد رأيي الشخصي ، فنعم الصديق أنت ، و إنّه لشرف لنا نحن.

أخيراً يا جميل ، فعلتها أخيراً

"أنا إنسانٌ جبان ، لا أقوى حتيٍ على البوح بحبّي لكِ ، و لكن يا أميرتي لأجلك سأفعل المستحيل ، كرامةً لك سأتحلّى بالشّجاعة ، من أجلك سأدفن الخوف في مقبرة ذكرياتي ، و أُنعِش القوّة و الشجاعة في أعماقي ، أحبك...أحبك يا أميرتي أحبك"

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تجري الأيام بسرعة ، اليوم هو يوم بديع ، و مميز ، إنه يوم زفاف جميل و هدى ، مباركٌ لكما ، ها هو إيهاب يقف فرحاً مُمسِكاً بعصاه يلبس بدلته الجميلة و البسيطة.....مُبتسماً لفرحه بأخته و باكياً لأنه سيشتاقها يأتي إليه أحد الأشخاص

-مباركٌ لكم يا إيهاب....فرحٌ جميل.

-شكراً لك يا عم.

يتقدّم إليه كلٌّ من جميل و هدى ، مرت لحظاتٌ من الصمت ، نظر جميل في عينيّ هدى ثم ابتسم كلاهما و أشار لها برأسه مُشيراً إلى إيهاب ، عانقت هدى أخاها إيهاب بقوة و فاضت عيناها الجميلتان بدموعٍ فبدت تلمع كاللؤلؤ ألقيت نظرة على إيهاب كانت عينه تدمع ، رفع يديه يتحسّس وجهها قائلاً لها :

-تبدين جميلة عندما تبكين.

فمسح دموعها ثمّ قبّل جبينها و همس في أذنها :

-لقد كبرت يا هدى ، ها أنت الآن عروس ، جميل شخصٌ رائع ، إنه شاب نبيل....و شهم.

رفع إيهاب رأسه و وجّه كلامه إلى جميل :

-أما أنت أيها العريس ، مبارك لك يا صديقي ، إنها الآن أمانة في عنقك ، إنها جوهرة عائلتنا فلتحافظ عليها.

-سأحافظ عليها كأنها قلبي ، و هل من أحدٍ لا يُحافِظ على قلبه؟

ابتسم إيهاب ، و تعانق الصديقان بحرارة ، معك حق يا إيهاب فرحتك لا توصف إن أغلى شخصين على قلبك قد أصبحا روحاً واحدة ، و شخصاً واحداً ، إنها لفرحةٌ عارمة ، كانت ابتسامة عريضة مرسومة على وجه إيهاب و لكن....

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

و لكن هناك غصة في قلب إيهاب ، غصة الشوق و الحنين ، غصة من نوعٍ آخر لا يمكن تفسيره ، إنه مازال يحبّها بالأخصّ عندما سمع صوتها تكلّم أخته هدى :

-مبارك لك يا هدى.... تبدين جميلة اليوم.

-شكراً لك يا سلام ، أتمنّى أن نفرح بك قريباً ، متى عدت و عائلتك من السفر.

-شكراً لك.... لقد عدنا منذ مدّة ، و أخبرتني جارتكم أن اليوم يوم زفافك ، بالمناسبة أين هو إيهاب أريد تهنئته؟

-إنه هناك...

" أشارت إلى مكان تواجده" كان يدير ظهره عليهما ، تخبطت الأفكار بين قلب إيهاب و عقله ، لا يريد لدمعته أن تنزل فتشعر أنّه مازال يهواها.

-كيف حالك يا إيهاب؟ مبارك عليكم هذا الفرح.

و كأن قلبه انعصر عندما سمعها تسلم عليه استدار إيهاب إليها بارتباك :

-أهلاً بك ، كيف حالك....

مدّت يدها لتصافحه ، و لكن للأسف يا سلام إنه لم يرَ يدك ،بدا على ملامحها الغضب و قالت له بنبرة العتب :

-ما بالك يا إيهاب؟ لقد مددت يدي لكي أصافحك ، لمَ لا تمدّ يدك؟

"مدّ إيهاب يده و بدأ يتحسّس مكان يدها ، و صافحها"

أكملت سلام :

-ما بالك يا إيهاب ، أتقصّد فعل هذا أم ماذا؟...

يبتسم إيهاب ابتسامة قهر :

-لم أر يدك اعذريني.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

و رفع وجهه باتجاهها ، ظهرت ملامح الصدمة على وجهها ، كانت صدمةً كبيرةً على سلام مما جعلها ترجع للوراء.

-م...ما...ما الذي حدث لك يا إيهاب؟

"طأطأ رأسه"

- هذا هو السبب يا سلام ، كما ترين لقد أصبحت مكفوفاً ظننتك قد سمعتِ بما حصل لي ، لقد تغيرت بسفرك هذا يا سلام ، تغيرت كثيراً.

أدار لها ظهره تحسّس الأرض بعصاه و مشى ، إنها أول مرة يدير فيها إيهاب ظهره لسلام ، نظرت إلى سلام

فأجدها بالكاد تستطيع الوقوف ، و دموع عينيها قد حجبت لها الرؤية بشكل كامل وضعت يدها على خدها نادمة لأنها أهانته دون قصد ، أبدأتِ تشعرين بالذنب يا سلام؟ لقد تأخرتِ ، كاد أن يُقتَل من أجلكِ ذات يوم ، يا لها من دنيا غير عادلة.

كان جميل يقف مع هدى و أمه ، فجأةً خطر في باله أن ينظر أين هو إيهاب ، فوجده واقفاً بمفرده بعيداً عن الجميع مُشعلاً سيجارته متوجهاً نحو السّماء ، ذهب إليه جميل يكلمه فوجده غارقاً بدموعه ، فوقف بجانبه هو أيضاً و نظر مثله للسماء يتأمل نجوم الليل و كيف تحاصر القمر.

-هل تحدّثت مع سلام؟

-نعم لقد أتت و ألقت عليّ السّلام.

-و عمّا تكلّمتما؟

-لا شيء يُذكر....كانت تبارك لي على زفافكما.

-هذا غير صحيح يا إيهاب...لكن لا بأس ستخبرني لاحقاً.

يسكت جميل لبضع ثوان ثم يكمل :

-أمازلت تحبها يا إيهاب.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

-نعم و لكن ما الفائدة....هذا الحب لا يجدي نفعاً ، أنا أحبها و هي تحبه هو هذا الحب كالينبوع بلا ماء.

"يتنهد إيهاب و ينظر للأمام" :

-ما الفائدة و قد فات الأوان؟.....ما فائدة الحب إذا كان من جهةٍ واحدة؟ لقد مللت يا جميل....لقد مللت.

يضع جميل يده على كتف إيهاب ، يقترب منه :

-سيعوضك الله بأفضل منها يا إيهاب.

-نحن نخدع أنفسنا بكلامٍ كهذا ، حتى إن كان الله سيعوضني ، فأنا لا أريد غيرها....

يصمت إيهاب للحظات :

-آسفٌ يا جميل ، لقد نزعت عليك فرحتك اليوم.

يتحسس الأرض بعصاه ثم يذهب.

و ها قد انتهى الحفل و عاد جميع الناس إلى منازلهم و غطّوا في نومٍ عميق ، ذهبت لألقي نظرة على إيهاب فوجدته مازال مستيقظاً ، شارد الذهن يفكّر بما حصل بينه و بين سلام أثناء الحفل ، حتى أنه لم يغير ثيابه ، أصبح يحادث نفسه :

-هل أخطأت في حقها اليوم؟...هل أذنبت و جرحت مشاعرها؟....سامحيني يا سلام ، أرجوك سامحيني ، لكنك قسيتِ عليّ كثيراً.

بكى إيهاب كثيراً حتى استسلم جسده للنوم.

عاد إيهاب لعمله بعد انتهاء الإصلاحات ، و عاد صوته يُطرِب الزبائن ، آهٍ كم اشتقت لصوتك يا إيهاب ، اشتقت لكلماتك ، لأشعارٍ تكتبها أنت و تغنيها على مسامعنا.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كانت سلامُ دائماً جزءاً لا يتجزأ من قصائدك ، بل كانت هي قصائدك كلّها ، حتى أنت دائماً ما كنت تقول في سرّك :

-"أنت قصيدتي الجميلة ، لقد وضعتك بين سطور قصائدي و أشعاري ، حتى أنني عندما أكتب شعراً تصبح أبياته تتكلم عنك تلقائياً ، لقد كنت و ما تزالين تحفتي الفنية التي أفخر دائماً بأنني من تغزّل بها ، كتبتك قصيدةً كانت حروف اسمك قافيتها ، و كانت دموع عينيّ حبراً لها ، يكتبها قلبي ، يا ليتك تقرأين نفسك عندما أكتبك ، أنشدت باسمك و تغنيت بك كثيراً ، أنت هي لغتي الخاصة و حروفي ، فكوني شاعرة تنشدني كما أنا لك مُنشِد".

توقف إيهاب عن الغناء لأخذ قسطٍ من الراحة و وضع عوده جانباً ، و بدأ يتحسّس الطاولة أمامه ببطئ باحثاً عن فنجان القهوة ، اقترب منه شخصٌ يلبس لباساً فخماً ، و بيده "سيجار" من النوع الفاخر ، وجلس معه على نفس الطاولة ، فقال ذلك الشخص بنبرة أشبه للاستفزاز :

-كيف حالك يا إيهاب؟... إني أرى أنه مازال صوتك جميلاً.

-من الآخر.....ما الذي تريده يا عادل؟

-و تعرفني من صوتي أيضاً ، أريد أن أسألك يا إيهاب ، ما الذي يُصبّرك على حالك هذا؟

-لم أفهم عليك.

"يبتسم عادل ابتسامة مكر" :

-أنت تفهمني يا إيهاب...ما الذي يُصبّرك على فقدانك بصرك؟

يسكت إيهاب قليلاً ليمسك أعصابه ، ثم يتحدث بهدوء ترافقه ابتسامه :

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

-ما يُصبّرني يا عادل هو أنّني لن أراك مجدّداً ، و لكن أنا لديّ سؤال لك لم تجبني عليه بعد ، كيف خرجت من السجن ، بعد أن أُلقي القبض عليك؟

"أن تتمالك أعصابك في أشدّ لحظاتك غضباً ، أمرٌ لا يستطيع فعله سوى الأقوياء حقاً"

رفع عادل حاجبيه في ذهول بعد أن أحرجه إيهاب بكلامه ضم أصابع يده إلى بعضها بغضب ، فكر قليلاً ثم وضع يديه بهدوء على الطاولة و أجاب :

-كان رجال الأمن يلقون القبض عليّ كثيراً ، و لكن بفضل نفوذ أبي و سلطته كنت أخرج بسهولة و يسر ، أنسيت أن والدي كان صاحب منصبٍ رفيع يا إيهاب؟

-لا لم أنس ذلك ، أنا لم أنسَ أن أباك من أكبر اللصوص في هذا البلد يا عادل.

قطّب عادل حاجبيه و نهض عن كرسيه بغضبٍ عارم ، و بقبضة يده ضرب الطاولة....

-أنا لا أسمح لك أن تتحدث عن أبي بهذه الطريقة يا إيهاب ، و لو أنك مُبصِر لكنت جعلتك تعرف قيمتك.

بكل هدوء وقف إيهاب...

-أنسيت يا عادل أنني من جعلك تبصق الدماء في منزلك يوم الحادثة؟....أنت من بدأ بتوجيه الإهانات ، و كأنك نسيت ذلك.

أدار عادلٌ ظهره و غادر المقهى ، و هو يتمتم بكلامٍ غير مفهوم.

نظرت إلى عيني إيهاب فبدأت أرى من خلالهما و كأنني أشاهد من خلال شاشة "التلفاز" ، عرفت حينها أنها مخيلة إيهاب ، أمعنت النظر بهما ، فإذ بي أرى

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إيهاباً يجلس على أحد المقاعد في الجامعة لا، و على وجهه أثر ضربات و كأنه كان في معركة طاحنة ، كان يبدو و كأنه ينتظر شخصاً ما ، أهي سلام؟...لا إنه جميل لقد رأيته قادماً من بعيد.

نظر جميل إلى وجه إيهاب بتعجب :

-إ..إيهاب ، ما هذه الآثار على وجهك هل تشاجرت مع أحد؟

-لا شيء يا جميل ، لقد سقطت على الأرض فحسب.

-أتظنني طفلاً صغيراً يا إيهاب؟... واضح على وجهك أنك كنت في شجار مع أحدهم.

يقول إيهاب بقليلٍ من العصبية :

-يكفي يا جميل ، إن كنت تريد أن تثرثر كثيراً فاتركني و شأني أرجوك...لا أريد أن....

قطع إيهاب كلامه و هو ينظر إلى شيءٍ ما ، نظرت لأرى فوجدت سلاماً قادمة نحوه ، اتسعت عيناه ، و انتفض قلبه

-هل أُصارحها الآن؟...لا لا ، قد تفهمني بشكل خاطئ ، بسبب ما قد حصل يوم أمس ، سأتكلّم في وقتٍ لاحق.

-إيهاب...انظر إنها سلام.

-نعم ، لقد رأيتها.

وصلت سلام إليهما ، و بعد ألقت سلامُ السلامَ على إيهاب و جميل ، طلبت من إيهاب أن تتكلم معه على انفراد.

-إيهاب أود أن أشكرك عمّا فعلته البارحة ، لقد أنقذتني من عادل ، و افتديتني بنفسك.

وضع إصبعه على شفتيه مُشيراً لها بالسكوت....

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

-انسي ما حصل الأمس يا سلام ، ولكن يا تُرى ما الذي قد حصل مع ذلك الوغد؟.

-لقد أبلغت عنه الأمن و أخبرتهم بما حصل ، و الآن قد يكون في السجن ينال قصاصه.

أغمض إيهاب عينيه لبرهة ، ثم فتحهما ، و لكن ما زلت أرى من خلالهما ، هناك شيءٌ ما قد تغير ، فملابس إيهاب قد تغيرت و اختفت الكدمات من على وجهه ، و كان هذه المرة واقفاً مع أصدقائه بعيداً قليلاً عن سلام التي قد تغيرت ملابسها هي الأخرى و كانت تقف مع صديقاتها ، و كأننا نحضر "فيلماً" و انتقلنا إلى مشهدٍ آخر ، في ذلك الحين صرخ أحد الأشخاص قائلاً :

-مرحباً بكم جميعاً ، هل اشتقتم إلي ، ها قد عدت بعد شهرين كاملين أمضيتهما في السجن ، لقد كنت مظلوماً ، و أفرجوا عني لأنني بريء.

ثم نظر إلى إيهاب نظرة الشيطان المُنتصِر :

-أليس كذلك يا إيهاب؟

ثم تعالت ضحكاته في الحرم الجامعي و مضى في سبيله

نظر إيهاب و سلام إلى بعضهما البعض نظرة استغراب و كأنهما يسألان بعضهما :

-كيف خرج هذا من السجن؟

كان إيهاب يغرق في مخيلته قبل أن يوقظه صوت يندده باسمه :

-إيهاب....إيهاب ، ألن تستأنف غناءك؟

-نعم نعم سأكمل.

طُرِق باب البيت فتحه جميل :

-إيهاب!! أهلاً بك ، ادخل...

ثم رفع صوته :

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

-هدى انظري من جاء لزيارتك.

-لم تأتِ اليوم للمقهى ، فأتيت أنا إليك ، كيف حالك يا جميل؟...و أنت يا هدى كيف حالك؟.

-نحن في أحسن حال ، و سأصبح أباً عن قريب.

-أباً؟

-نعم ، اليوم أخبرتنا الطبيبة بأن هدى حامل.

-أصحيحٌ هذا يا هدى ، تعالي إلي يا روح أخيك تعالي ، و ستصبحين أمّاً يا صغيرتي.

عانق أخته و كأنه لم يرها منذ سنين ، و عينه التي تدمع فرحاً.

-ليس هذا فقط ، إذا كان ذلك الطفل ذكراً سأسميه إيهاباً على اسمك.

-مُبارك لكما ، إيهاب الصغير إذاً ، و إذا كانت بنتاً ماذا ستسميها؟؟

-لم نختر بعد..

-سلام ، سميها سلام ، إنه اسمٌ جميل.

هدى :

-و أنت يا إيهاب ، ألن تُفرِح قلبنا و تتزوج لنرى أبناءك.

صمت إيهاب و لم يجب على سؤال هدى ، و لكنه أجاب في سرّه :

-لا يا هدى لا أظن ذلك ، لا أظن أن سلاماً ستكون من نصيبي ، و أنا لا أرضى بغيرها شريكةً لحياتي و أمّاً لأبنائي.

عاد إلى منزله خلع معطفه و وضع عصاه جانباً ثم استلقى على فراشه محاولاً النوم ، و لكنه لم يستطع فهو مازال يفكّر بكلام أخته هدى ، أغمض عينيه و بدأ يسترجع ذكرياته.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إنّه حفل تخرج إيهاب و سلام من الجامعة ، حفلٌ جميل ، ملامح البهجة و السّرور واضحةٌ على وجه إيهاب ، تلك الفتاة تعانق أمها و تضع قبعة تخرجها على رأسها ، ذاك الشاب يقبل يد كل من أبويه ، إيهاب ينظر نحو سلام فيجدها باسمةً فيضحك قلبه و يرقص ، ينظر إلى عينيها فيجدهما تلمعان بنور البراءة ، فتتسارع دقات قلبه.

"أتلك العينان الضاحكتان بشريّة؟ أم أنها من خصائص الملائكة؟ إن لهما سحراً خاصاً ، يضرم ناراً في القلب ، و يجعل من القوي ضعيفاً أمامها ، و من العجوز طفلاً رضيعاً عندما ينظر لهما"

عندما انتهى الحفل خطرت ببال إيهاب فكرة وبرقت عيناه لها :

-حسناً سأخبرها اليوم ، هذا أنسب وقت ، سأنتظرها حتى تكون بمفردها و أذهب إليها.

انتظر إيهاب قليلاً حتى ذهب كل صديقاتها و بقيت لوحدها.

-مُبارك التخرج يا سلام.

التفتت سلام لتجد إيهاب خلفها :

-أهلا إيهاب ، مُبارك لك أيضاً.

-في الحقيقة يا سلام أريد أن أحدّثك بشيء إذا سمحت.

-طبعاً يا إيهاب تفضل بالكلام.

-هل يمكننا الابتعاد قليلاً كي لا يسمعنا أحد.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ابتعد إيهاب و سلام قليلاً ، لكنني لا أستطيع أن أسمع حديثهما ، هممت باللحاق بهما لكنّ شيئاً ما قد لفت انتباهي ، إنه عادل....هذا صحيح إنه هو ، كان عادل ينظر إلى إيهاب نظرة تقطر سمّاً ، و يتحدث مع أحدهم.

لحظة واحدة لقد نسيت إيهاباً.

ذهبت إليه لأجده واقفاً مع سلام التي كانت تبدو مصدومة ، و مرتبكة في نفس الوقت.

سلام :

-في الحقيقة يا إيهاب لقد فاجأتني ، لا أعرف ما الذي سأقوله لك ، أنت شاب لا مثيل له ، فأنت في قمة الأخلاق و الرقي ، و الشهامة ، و معدنك نقي ، و لكن....

-ولكن ماذا يا سلام؟

-أنت كما قلت شاب جيد ، و لكن هناك شخصٌ غيرك يمتلك قلبي ، ابحث عن فتاة غيري ، فألف فتاة تتمنى أن تكون من نصيبك ، أرجو أن...

تغير الزمان و المكان فجأة ، إيهاب يتدرج في متنزّه عام صوت ضحكات الأطفال يملأ المكان.....على يمينه شاب يحتضن محبوبته و هي تبكي تحت شجرة و أمامه أمٌّ تلحق بابنها الصغير كي لا يقع و هو يلعب ، و لكن ما لفت انتباهه كانت ضحكة رقيقة ، و كأن تلك الضحكة بدت مألوفة لإيهاب ، نظر باتجاه الصوت ، و إذ به يرى سلاماً و معها شابٌ وسيم الوجه طويل القامة يلبس بلوزة رياضية زرقاء ، أمعن النظر ليعرف من هو و لكن كانت المفاجأة ، قالها باستغراب شديد :

-مراد!....أهذا هو الشاب الذي يمتلك قلبك يا سلام ، مراد لا يفرق عن عادل كثيراً يا سلام ، غير أن عادلاً يمتلك الشجاعة ليقوم بأفعاله الخبيثة.

فتح إيهاب عينيه و لكنهما كانتا غارقتان في الدموع ، ما كمية هذا الحب الذي تكنّه لسلام في قلبك يا إيهاب؟

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يتقلّب في سريره يميناً و يساراً لعلّه يخلد للنوم قليلاً ، إنها الثانية و النصف بعد منتصف الليل ، و إيهاب لم ينم بعد ، إنه مُستَلقٍ على سريره العتيق ، و دموعه كالفيضان على خده لدرجة أن وسادته قد ابتلت من دموعه ، تحركت شفتاه تنطق بصوتٍ شبه مبحوح :

-دعيني أثبت لك أنّني أفضل منه ، لو منحتِني فرصة أو حتّى محاولةً واحدةً لكنت أثبت ذلك رغم أنّك تعرفين حقّ المعرفة أنّني أفضل منه و خير لك منه ، و رغم ذلك كلّ مرّةٍ تعطيه فرصةً و فرصاً ، ألهذه الدّرجة تحبّينه؟....يراودني سؤال لا أجد له تفسير ، لماذا فتاة مثلك برقّتك و طيبتك و حميد أخلاقك تحبّ هذا الوحش المفترس؟ و لماذا تبتعدين عن حبّ شخصٍ مثلي؟.....هو يتسبّب لك بالدّموع فأمسح أنا دموعك ، عندما كنت تخافين أسهر معك لأطمئنك و أمدّك بالشّجاعة ، يعدك فينقض وعده ، حقّاً...ما الذي جعلك تحبّين هذا الشّيطان ، إنّه حقّاً لرجيم ، أريد فرصةً واحدةً فقط لا غير ، كوني إنسانة عادلة ، و اسمحي لي بهذه الفرصة.

الفصل الخامس : النهاية

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

في بداية فصل الربيع كان الجو لطيفاً ، السّماء تُمطِر غيثاً رقيقاً يغسل غبار الربيع عن زهر الأشجار ، و تمتزج رائحة الأرض المُبتَلة بماء المطر مع العطر الذي وضعته الأشجار على نفسها ، يستيقظ إيهاب بفزعٍ بعد رؤيته لحلمٍ مزعج ، يتهيأ للذهاب لعمله و لكن شيئاً ما بداخله يُخبِره أنّ هناك شيئاً ما غير سارٍّ سيحصل معه اليوم ، لكنّه لا يعرف ما هو ، ذهب إلى عمله في ذاك الطقس الربيعي ذو المطر الخفيف ، ذلك الطقس هو المفضل لدى إيهاب ، وصل إيهاب إلى عمله ، رأيت شيئاً غريباً ، ليس في المقهى أيّ زبائن على غير العادة ، و لكن هنالك العديد من الرجال مفتولي العضلات ، شديدي البأس ، يلبسون بدلاتٍ رسمية ، و كأنّهم حرّاس لشخصٍ ما مهم ، التفت لأرى عادلاً يقف مع صاحب المقهى يتهامسان ، هل هؤلاء الرجال هم رجال عادل؟ و لكن ماذا يفعلون هنا؟

عد أدراجك يا إيهاب إنّي أخاف عليك ، سمع إيهاب صوت هدوءٍ غير مألوفٍ في هذا المقهى ، صاح بصوتٍ قليل الارتفاع :

-هل من أحدٍ هنا؟ أي أحد.

رد عليه صاحب المقهى :

-ادخل يا إيهاب...هنالك شيءٌ يجب أن أخبرك به.

مشى إيهاب عدة خطوات نحو الصوت ، يحرك عصاه أمامه حتى لا يتعثر بأحد الكراسي ، أشار عادل لرجاله ، فذهب اثنان منهما و وقفا عند الباب ، و اثنان آخران وقفا خلف إيهاب ، همس عادل لصاحب المقهى ، فتقدم صاحب المقهى نحو إيهاب يقول له :

-امسك هذا يا إيهاب.

و أخرج ظرفاً من يده و وضعه في يد إيهاب ، استغرب إيهاب مما أعطاه إياه ذلك الرجل.

-ما هذا الذي أعطيتني إياه؟

-إنه...إنه راتب ثلاثة أشهر يا إيهاب ، فقد استغنيت عن خدماتك هنا.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

-ولكنك أعطيتني راتبي البارحة ، لا أحتاج لكلّ هذا ، دعه معك ، و إن كنت مستغنٍ عنه لا محالة ، فأعطه لأهل الخير ، و المحتاجين ، إنهم يستحقونه أكثر مني.

سمع إيهاب صوت عادل المستفز يقول :

-إنها ليست منه ، تلك النقود هديةٌ مني لصديقي إيهاب ، ألا تقبلها؟

التفت إيهاب لمصدر الصوت ، و قال :

-هكذا إذاً ، لقد فهمت ، نعم بالتأكيد أقبلها ، و بما أنها أصبح مُلكي ، يحق لي أن أفعل بها ما شئت.

أخرج ولاعةً من جيبه و أشعل النار بالظرف ، و رماها باتجاه عادل ، و أكمل كلامه :

-لقد أجبرته إذاً على فصلي من العمل يا عادل ، لم يبق لك سوى قتلي ، لا تُطل علي ذلك ، افعلها سريعاً.

أدار إيهاب ظهره و مشى ، أشار عادل لرجاله أن يبتعدوا من طريقه ، و لكن إيهاب توقف فجأة عند الباب عندما سمع صوت صاحب المقهى يناده :

-إيهاب...سامحني يا إيهاب.

عاد إيهاب إلى منزله مكسور الخاطر ، يمشي بهدوء و هو شارد الذهن يفكر مليّاً بما حصل منذ قليل ، امتزجت دموعه مع ماء المطر ، ضم أصابع إلى بعضهم البعض بغضب :

-لقد تمكنت مني هذ المرة يا عادل ، لقد فزت في الحرب رغم أنّك خسرت في كل المعارك.

فجأة بدأ يتذكر شيئاً ما يأتي على هيئة مقتطفات و لحظات ، أعددت نفسي لمشاهدة هذا "الفيلم" في مخيلته.

كنت وحيداً في صالة "السينما" تلك ، ها قد بدأ "الفيلم" سأحكيه لكم :

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

رن المنبه مُشيراً أنها الساعة السادسة صباحاً ، استيقظ إيهاب و اغتسل ثم لبس ثيابه الأنيقة ، و رش عطراً لطيفاً ، و كأنه ذاهب ليقابل محبوبته ، و لكن كان ذاهباً لموعدٍ آخر ، كان ذاهباً لمقابلة عمل ، يبدو يوماً شاعرياً بالنسبة له ، انتظر دوره بكثيرٍ من الثقة و التفاؤل ، كان إيهاب يفكر بالأسئلة التي سوف يجاوب عنها ، و ما هي تلك الأسئلة حينما قاطعه صوتٌ رقيقٌ لفتاة جوهرة في الجمال :

-استاذ إيهاب تفضل بالدخول...قد حان دورك.

أبتسم إيهابٌ في وجهها ابتسامةً لطيفة تعني الشكر و هم بالدخول للمكتب ، بدا هذا المشهد بادرة خيرٍ على إيهاب في هذا المكتب الكبير و المهيب ، أجاب إيهاب على كل الأسئلة بثقةٍ تامةٍ ، كان المدير يلبس أفخم لباس و في يساره ساعة ذهبية ، و بيده الأخرى سيجارة من تبغ فاخر كان المدير يجلس خلف الطاولة بثقة على كرسي مُتحرّك من الجلد يلوح من خلاله يمينا و شمالاً.

-راجعنا بعد عشرة أيام ريثما تكون نتيجة المقابلة قد ظهرت.

مرت عشرة أيام على إيهاب كان ينتظر مرورها على أحر من جمر ، ذهب إيهاب لمراجعة ذلك المدير ، ليعرف ما إن كان قد انقبل في تلك الوظيفة أم لا غير أنه كان على يقينٍ بأنه سيحصل عليها ، لكنه انصعق عندما علم أنه قد رُفِض لسبب لا يعرفه ، عاد إلى منزله مكسور الخاطر ، و في طريقه خطرت له فكرة جميلة ، قرر أن يسافر باحثاً عن عمل ، لكن سرعان ما أن أزال تلك الفكرة من رأسه ، فهو لا يستطيع ترك أمه المريضة و أخته الصغيرة لوحدهما ، فقد كان أحد أخوته لا يستطيع أن يعتني بأمه و أخته لوحده ، فهو مريضٌ ، أمّا الأخ الثاني فقد مر على وفاته عامين أو أكثر قليلاً.

كم حظك تعيسٌ يا فتى ، ليتك كنت شبحاً مثلي.

مرت فترة طويلة ، تغيرت سلام كثيراً و أصبحت تستخدم إيهاباً لإغاظة مراد عندما يتخاصمان ، كان إيهاب سعيداً أنها أصبحت تحادثه كثيراً إلى أن أدرك الوضع ، و أدرك أنه مجرد أداة لإغاظة و استفزاز مراد ، خيم الحزن على قلبه

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

و أصبحت حياته مليئةً بالسواد ، حاول مراقبة مراد فهو يعلم أنه خسيس ، و لكنه لا يعلم ماذا يفعل؟.

كان مراد مزاجياً جداً ، أحيانا كان يعامل سلاماً معاملةً حسنة ، عندما كان يريد منها شيئاً ما ، و أغلب الأوقات كان يعاملها بسوء و إهانة ، حاول إيهاب أن ينبه سلاماً بطريقته أن مراداً شيطانٌ على هيئة شاب وسيم ، و لكنه لم يفلح بذلك فسلام كانت غير واعية على ما يدور حولها ، فقد كان مراد قد غسل دماغها بخساسة.

حسم إيهاب أمره و قرر مصيره ، لقد خسر كل شيء لم يعد باليد حيلة ، ذهب لزيارة جميل و هدى التي كانت في شهرها الثامن من الحمل ، و قد سلّم عليهما بحرارة و ودعهما بدموع العينين كأنّه سيغيب طويلاً :

-جميل....أنت لا تحتاج توصية ، فهدى و أمي في أمانتك الآن ، اعتن بهما جيداً.

-سأضعهما في عيوني يا إيهاب ، و لكن..... أخبرني بما تنوي فعله ، هل أنت مقدم على السفر؟؟؟

-ستعرف قريباً لا تكن متعجلاً...

كان إيهاب في طريق عودته إلى المنزل يتحسس الطريق بعصاه ، و لكنه غير اتجاهه إلى مكان ما لدقائق معدودة.....دخل إلى دكان صغير يسوده الظلام في وضح النهار.....كان صاحبه رجل خمسيني ذو وجه شاحب و شعر أبيض ، ضخم الجثة عبوس الوجه....مد إيهاب يده إلى جيب بنطاله و أخرج كل ما فيها من مال

-هذا كل ما لدي.....خذه

أخرج ذلك الرجل كيساً أعطاه إلى إيهاب بيد و أخذ المال بيده الأخرى

خرج إيهاب و ذهب مباشرة إلى منزله....دخل إلى غرفته من فوره ....رفع عصاه فقبلها

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

-هذه قبلة لجبينك عزيزتي فقد كنت بصري في العمى.....و ضوئي في الظلام ، أشكرك على كل لحظة ساعدتني فيها.

أمسك إيهاب بجهاز "راديو" صغير كان على رف بجانب سريره و ضغط على زر تسجيل الصوت و بدأ يتحدث برجفة فيها الكثير من الخوف و الحزن :

-لا لن أرضى أن أكون أداةً تستخدمينها يا سلام ، أنا لست كذلك ، أنت لا تعلمين أنني أفهم كل شيءٍ يا سلام ، لا أريد أن أكون كبش فداءٍ تستفزين به مراداً ، بالأخصّ بعد معرفته بعشقي لك ، ذلك العشق الذي يعرفه الجميع من نظرتي لك ، و خوفي عليك ، من لهفة قلبي عند ذكر اسمك ، من فرحة دقاته عندما ألمس يدك ، أو أسمع ضحكتك الناعمة المليئة بالبراءة ، أعطيتك قلبي فأعطيتني عذاباً ، أهديتك روحي فكانت مكافأتي هي ظلمك لي ، أفديتك بنفسي ، فجعلت مني سلاحاً تستخدمينه لاستفزاز مراد كي يصالحك بعد تخاصمكما ، أشكرك يا سلام ، أشكرك بكامل جروحي ، و من كل قلبي ، أشكرك على لا شيء ، الآن قد حانت ساعتي....الوداع ، أريد من الجميع أن يغفر لي ، سامحوني ، أنا أعلم أنني ذاهب إلى الجحيم الآن ، أعلم أنّ عذاب الجحيم مؤلم ، لكنه عقاب ، سيعاقبني الله على ذنبٍ ارتكبته ، إن جحيم الآخرة حقاً عادل ، ليس كجحيم الدنيا ، نُعاقَب فيه على طيبتنا ، الوداع مرة أخرى ، و أخيراً سيرتاح فؤادي.

و أخرج ذلك الكيس الذي اشتراه في الطريق من جيبه، مُمسِكاً به بيده التي ترتجف ، ثم صرخ بدموعٍ كنهر النيل تجري :

-أحبك يا سلام ، و لكنك أنت من قتلني.

ندهت له :

-لا تفعلها يا إيهاب ، فأنت صديقي الوحيد.

لكنه لم يسمعني لأنه الآن نائم ، نعم إيهاب قد نام نوماً عميقاً لن يستيقظ منه أبداً ، قد مات إيهاب ، و لكن ذكراه لن تموت ، ارقد بسلام يا صديقي ، هنيئاً لك لقد ارتحت.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الآن قد مرّ عام كامل على نومك يا إيهاب ، ألا تريد أن تستيقظ ، انهض فقد اكتشفت سلام أن مراداً شابٌ وضيع ، و أنه شاب أقذر من القذارة و وضاعة الأصل تجري في عروقه ، لقد اكتشفت أيضاً أنها قد ظلمتك كثيراً و هي نادمة الآن ، صحيح أنها اكتشفت ذلك متأخرة ، و لكنك حققت عهدك ، تذكرتك عندما قلت :

-عهداً عليّ ، أنني سأحرر سلاماً من حكم مراد لو كلفني ذلك حياتي.

لا أحد يعلم من أنت إلا عندما يفقدك ، قد يكون في موتك إنقاذ للآخرين.

هيا يا إيهاب انهض من ضريحك فهذا جميل و هدى هنا و معهما ابنهما الصغير انظر كم هو بهيّ و بريء إنه يشبهك تماماً ، حتى أن اسمه إيهاب أسموه على اسمك ، إنهما يزورانك دائماً ، انهض و استقبلهما ، أرجوك ، حتى سلام هنا أتت لزيارتك إنها تحضن قبرك و تبكي، ألا تريد أن تحضنها و تحقق حلمك ، أما كنت تقول دائماً في سرك :

-لا أخاف الموت ، و لكنني أخاف أن أموت دون أن أضم سلاماً إلى صدري.

رحمك الله يا إيهاب ، اعذرني لا أستطيع أن أبقى بجانب ضريحك طويلاً ، أقسم أنني أود البقاء إلى جانبك حتى أموت ، و لكنني مضطر للعودة إلى عالمي ، وداعاً يا أفضل صديق عرفته و لم يعرفني ، وداعاً يا ألطف البشر و أطيبهم.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner